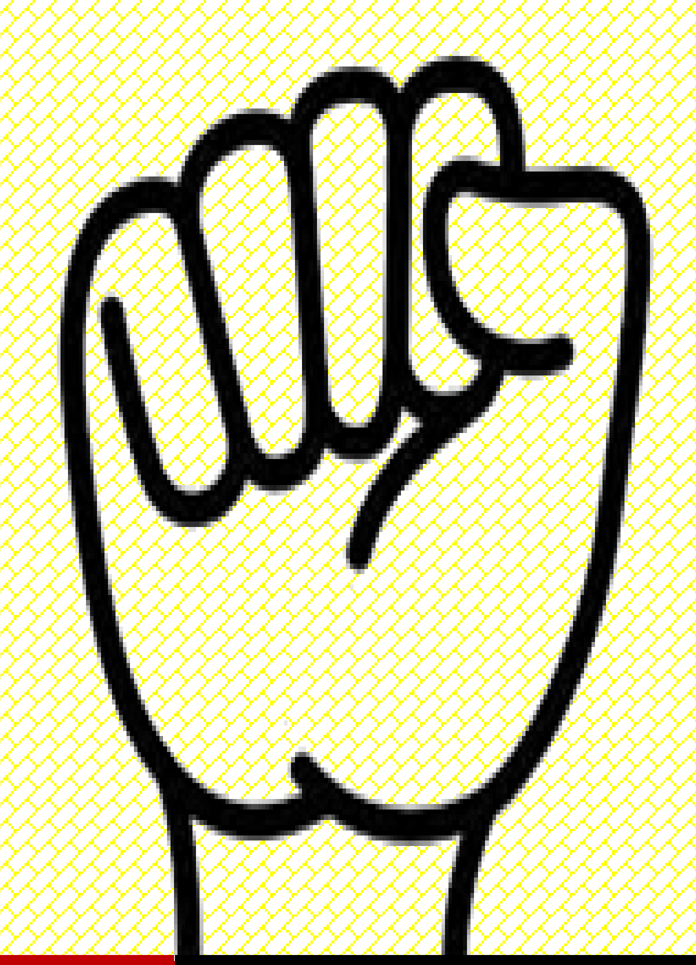
19

البعث والقضية الفلسطينية
وثائق للتاريخ

السبيل الى تحرير فلسطين

بقلم الدكتور
منيف الرزاز





منشورات الطليعة

تونس 1986

كتاب
السبيل الى تحرير فلسطين

الدكتور منيف الرزّاز

« لا بد من تحرير فلسطين » .

ذلك شعار على كل مؤمن بأمته أن يردده .

ولكن ترديد الشعار شيء والعمل على تحقيقه بجد شيء آخر .

وتحقيق التحرير يحتاج الى عاملين في آن معا .

الأول هو الايمان بوجوب التحرير ، وما يتعلق بهذا الايمان من ارادة ومن تصميم على النضال في سبيل هذا التحرير .

الثاني هو خلق الظروف الموضوعية التي يمكن في ظلها ان يتحقق التحرير ، وان ينجح النضال في تأدية رسالته .

الارادة ، وحدها ، تدفع الى النضال . وبدون النضال لا يمكن تحقيق أي تحرير . ولكن الارادة ، وحدها ، لا تضمن الوصول الى تحقيق الهدف . قد تصل بالمناضلين الى الاستشهاد في سبيل تحقيق الهدف . ولكنها لا تصل بهم ، بالضرورة ، الى تحقيق ذلك الهدف . الارادة ضرورة حتمية من اجل قيام النضال . ولكن الثورات والحروب الفاشلة في تاريخ العالم وكل ثورة وحرب عمل ارادي ، اكثر بكثير من

الثورات والحروب الناجحة . وحتى يتوفر الهدف ، **لا بد من اجتماع الظروف الموضوعية « لنجاح » النضال ، الى توفر ارادة النضال .**

وواضح ان توفر الظروف الموضوعية ، وحدها ، لا يوصل الى تحقيق التحرير . فقد تتوفر هذه الظروف ثم لا توجد الارادة ، او اداة الارادة اللازمة لاستغلال تلك الظروف منها في تحقيق التحرير .

لا بد ، اذن ، من اجل النجاح في تحقيق هدف التحرير ، من اجتماع ارادة التحرير ، وما يتبعها من عمل ونضال وقتال ، الى الظروف الموضوعية الكفيلة بإيصال هذه الارادة الى اغراضها .

الارادة كافية لقيام القتال .

الظروف الموضوعية ضرورية للنجاح في تحقيق اهداف القتال .

والغرض من هذا الحديث هو التحدث عن الظروف الموضوعية التي لا بد من توفرها ، او توفيرها ، ليتحقق التحرير .

معنى الوجود الاسرائيلي

ومن أجل فهم هذه الظروف الموضوعية فهماً عميقاً لا بد لنا بادىء ذي بدء ، من فهم معنى الوجود الاسرائيلي فهماً عميقاً وواعياً .

فنحن نخطىء خطأ كبيراً حين نعالج الوجود الاسرائيلي وكأنه وجود مستقل قائم بذاته . إن مثل هذه المعالجة ، في احسن حالاتها ، تضع العرب في كفة ، وتضع اسرائيل في كفة اخرى ، وتعالج الموضوع وكأن الصراع بين الكفتين يجري في خواء ، لا علاقة لأحد خارج هذا الصراع بما يجري في داخله . وبالتالي فإن مثل هذه المعالجة لا بد لها ان تنتهي بنا الى الفشل لأنها تخطىء خطأ كبيراً في تحديد معنى العدو ، ثم في تحديد القوى اللازم توفرها من أجل الانتصار على العدو .

ولا نظن ان ما نسميه خطأ هو امر بديهي ولا يجوز ان نتوقف عنده . فالكثير الكثير من خططنا الشعبية ، او الرسمية ، يقوم ، في الواقع ، على أساس هذا الافتراض . وعلى رغم الترديد المستمر لحقيقة اسرائيل وحقيقة ارتباطها المطلق

بالامبريالية ، فإن خطط مواجهتها قليلاً ما تتضمن ما تستوجبه هذه الحقيقة من مجابهة كاملة شاملة للصهيونية وللامبريالية في آن معاً ، وكثيراً ما تضمن تناسياً لهذه الحقيقة ، وتخطيطاً لمواجهة اسرائيل ، وكأنها وجود مستقل قائم بذاته . فمؤتمرات القمة السابقة لحرب حزيران ، مثلا ، والقيادة العربية المشتركة المنبثقة عنها ، انما وضعت حسابها وخططها في مواجهة اسرائيل ، على أساس ان اسرائيل مجرد دولة مجاورة معتدية ، مستقلة ، قائمة بذاتها .

ومعظم الدول العربية ، ان لم تكن كلها ، تفصل في سياستها ، وفي تخطيطها ، بين اسرائيل ، وبين حقيقة اسرائيل ، فتحاول ان تصعد لوازم المجابهة مع اسرائيل ، في الوقت الذي تحاول فيه ان تحسن علاقاتها مع الامبريالية ، السند الحقيقي للوجود الاسرائيلي .

إن كل محاولة من هذا القبيل مقضي عليها بالفشل مقدماً . وما لم تفهم الطبيعة الامبريالية للوجود الاسرائيلي ، ثم ما لم نخطط وننفذ على أساس هذه الطبيعة ، فإن جهدنا مهما كبر وتعاظم ، ومهما بلغ اخلاصه وتضحياته ، جهد ضائع لا سبيل الى تحقيق اهدافه .

* *

إن اول خطوة في فهم طبيعة الوجود الاسرائيلي هي فهم ارتباطه العميق بالامبريالية .

فاسرائيل نشأت على وعد بلفور . ومهد الطريق لوضع اسسها وبنائها الانتداب البريطاني في فلسطين . وكانت الامبريالية ، المتمثلة في بريطانيا في ذلك الوقت باعتبارها اكبر قوة امبريالية في العالم ، ترمي من وراء انشاء « الوطن القومي » الموعود ، او ما اصبح فيما بعد « دولة اسرائيل » الى تأمين غرضين اثنين :

اولهما ، ايجاد موطىء قدم امين في الشرق الاوسط لحفظ خط المواصلات الاساسي الى المستعمرات الاسيوية وعلى رأسها الهند .

ثانيهما : زرع اسفين في المنطقة العربية يكون حاجزاً قويا ومانعاً بين شرق الوطن العربي وغربه . وقادراً بالتالي ، على منع قيام أية قوة موحدة من الأمة العربية في

هذا الموقع الاستراتيجي الضخم من العالم ، تهدد مصالح الاستعمار العالمية .

واذا كان الغرض الأول قد خف اثره بسبب انسحاب الاستعمار بشكله القديم من معظم المستعمرات الاسيوية الافريقية ، فقد حل محله ، بعد الحرب العالمية الثانية ، غرض أهم بكثير ، هو الثروة البترولية الضخمة التي تمثل ثلثي مخزون العالم من البترول . واصبح الشرق الاوسط مطلوباً للاستعمار الغربي ، لا بصفته مجرد ممر الى حيث تقوم المصالح الاستعمارية ، بل بصفته المركز الأول والأساسي لهذه المصالح ، بحيث يمكن للاستعمار الغربي ان يتنازل عنها في هذه المنطقة . اصبح الشرق الاوسط مطلوبا لذاته بعد ان كان مطلوباً مجرد ممر لغيره .

واصبح الغرض الثاني ، كذلك ، اكثر الحاحاً مما كان في أي وقت مضى . فليس اكثر خطورة على المصالح الاستعمارية في المنطقة من قيام دولة عربية موحدة قوية واصبح الحفاظ على التجزئة العربية هدفاً في منتهى الأهمية يهدد قيامها هذه المصالح او يقضي عليها قضاء مبرما . لأن قيام الدولة الواحدة عمل في منتهى الخطورة . فالدول القطرية المجزأة عاجزة بالضرورة عن الدخول في معركة تأميم حقيقية ضد المصالح البترولية الاحتكارية الاستعمارية ، لأن الاستعمار قادر على أن يحاربها ، حينذاك ، باستفرادها ومقاطعتها وضربها اقتصادياً حتى تستسلم ، كما حصل في ايران بعد تأميم البترول في اوائل الخمسينات . بينما تتمكن الدولة الموحدة القوية المسيطرة على منابع البترول الأساسية الاستغناء بسهولة عن انتاج قطر او قطرين من هذه المنطقة ، عاجزة عن الاستغناء عن انتاج المنطقة كلها . فالوحدة ، في نظر الاستعمار ، تعني ضياع المصالح البترولية . والتجزئة تعني بقاءها واستمرارها .

من اجل ذلك كان لا بدّ للاستعمار من أن يجد له في المنطقة موطىء قدم ثابتاً . واثبت نوع من انواع الاستعمار هو « الاستعمار الاستيطاني » ، القائم على احلال شعب مكان شعب آخر ، بتهجيره ، إن امكن ، كلياً ، او بحصره في مناطق معينة ، او بتسليط الشعب « الجديد » على الشعب « القديم » تسليطاً تاماً ومباشراً . انه اثبت انواع الاستعمار لأنه ليس مجرد استبدال سلطة اجنبية بسلطة وطنية ، ولكنه استبدال شعب بشعب . إنه ليس استعمارا فوقيا فحسب ، بل هو استعمار يمتد الى الجذور ، الى التراب نفسه .

واسرائيل ليست المثل الوحيد في العالم للاستعمار الاستيطاني . فأمريكا نفسها واوستراليا ونيوزيلندا امثلة على الاستعمار الاستيطاني الناجح نجاحا تاماً بحيث اصبح « الشعب الجديد » الذي حل محل « الشعب القديم » حلولاً تاماً هو صاحب الارض ، واصبح « الشعب القديم » في حكم المفقود . ثم هناك جنوب افريقيا وروديسيا ، حيث لم يكتف المستعمرون بالقبض على السلطة ، بل قبضوا على التراب نفسه . ولم يكتفوا باستعباد السكان الاصليين بل حصروهم جغرافيا بالاضافة الى محاصرتهم اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وانسانياً .

إن الصعوبة الأساسية التي يمكن ان يجدها الاستعمار في اقامة استعمار استيطاني في منطقة كمنطقة الشرق الاوسط ، هي أن سكان هذه المنطقة ليسوا سكاناً بدائيين كما هو الحال في سكان الاميركتين او اوستراليا ، او جنوب افريقيا ووسطها وإنما هم سكان متحضرون ، وان كانوا متخلفين ، لهم تاريخ وحضارة ومجتمع قائم بذاته . وبالتالي فإن احلال شعب جديد مكانهم ليس بالسهولة التي يمكن بها احلال شعب مكان سكان بدائيين منقطعي الصلة بالعالم وبالتاريخ وبالحضارة .

ولكن الاستعمار تمكن من التغلب على هذه الصعوبة حين التقى بقاؤه الحتمي مع الحركة الصهيونية . فإحلال سكان بريطانيين او فرنسيين في المنطقة محل السكان العرب كان لا بد ان يخلق صعوبات جمة وأن ينتهي بالفشل التام كما اثبتت محاولة الاستعمار الاستيطاني في الجزائر . ولكن الحركة الصهيونية قدمت للاستعمار الحل المناسب . فصهيونيو العالم ليسوا شعبا مستقلاً قائماً بذاته يمكن ، اذا فشل استعماره ، ان يعود الى وطنه ، كما هو الحال مع الانكليز والفرنسيين ، وإنما هم موزعون في انحاء الأرض ، تربطهم بفلسطين رابطة روحية وتاريخية ، يمكن استغلالها للتغلب على مصاعب تطبيق الاستعمار الاستيطاني على سكان متحضرين كالعرب .

والصهيونية ، المنبثقة عن نفس الأسس التي انبثق عنها الاستعمار الغربي ، وهي الأسس القائمة على التقدم البورجوازي الاحتكاري الاستعماري العنصري ، كان لا بد أن تجد حليفها الطبيعي في الامبريالية ، وكان لا بد أن يلتقي التياران في مجرى واحد ، من اجل ان يعمل الاستعمار على توطين الصهيونية في فلسطين ، ومن اجل ان تكون الصهيونية في فلسطين موطىء القدم الثابتة للاستعمار في منطقة الشرق الاوسط .

فلقاء الصهيونية بالاستعمار لقاء حتمي . ليس ابن صدفة، ولا هو نتيجة . . . « الدعاية الناجحة » للصهيونية في الغرب ، او « ضعف الدعاية » العربية في الخارج ، او عجز العرب عن عرض قضيتهم على مسامع الدنيا ، كما يحلو للبعض أن يدعي . فما دامت المصالح الامبريالية موجودة في المنطقة ، وما دامت اسرائيل تمثل رأس جسر الاستعمار في المحافظة المباشرة على هذه المصالح ، فمن قبيل العبث الادعاء بأن عرضاً أفضل للقضية العربية امام الغرب الامبريالي يمكن أن يعكس هذا التحالف الحتمي ، ويجعل الغرب الى جانبنا ، وضد الصهيونية ، لأننا بذلك انما نريد من الامبريالية ان تعكس دورها ، وان تحارب نفسها الى جانبنا بنفسها .

ان حتمية وقوف الامبريالية الى جانب الصهيونية هو الذي يفسر انتقال الدعم الاساسي للصهيونية من عاتق بريطانيا الى عاتق الولايات المتحدة ، بعد الحرب العالمية الثانية . لأن مركز ثقل الامبريالية هو الذي انتقل من بريطانيا الى الولايات المتحدة . وبعد ان كانت بريطانيا هي قائدة الامبريالية العالمية ، والحامية الأولى للصهيونية ، اصبحت الولايات المتحدة هي الدولة الامبريالية الأولى وهي الحامية الاولى للصهيونية في نفس الوقت .

ومن هنا ايضاً تفسير ما نراه احياناً من تبدل في موقف بعض دول الغرب كفرنسا بشكل خاص ، من قضية فلسطين . فتأييد أي دولة غربية للصهيونية تتناسب تناسباً طردياً مع مقدار ارتباطها بالامبريالية العالمية ، وبالتالي بالولايات المتحدة الاميركية . فإذا انكمش هذا الارتباط انكمش التأييد لاسرائيل . واذا تصاعد تصاعد التأييد لاسرائيل .

ومن هنا ، ايضا ، ما بدا من تناقض بين موقف الولايات المتحدة من جهة ، وموقف بريطانيا وفرنسا من جهة اخرى ، في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ . فحين كانت بريطانيا وفرنسا تحاولان بهذا العدوان المحافظة على البقية الباقية من آثار امبرياليتهما في الشرق الاقصى ، وقناة السويس والجزائر وافريقيا ، اضطرت الولايات المتحدة ، في محاولتها الناجحة للاستيلاء على قوى الامبريالية في العالم ، ان تقف ضد العدوان الثلاثي ، وضد اسرائيل ، للمرة الأولى والأخيرة في ربع القرن الأخير . وبتأميم قناة السويس وبانسحاب فرنسا وبريطانيا من معظم مستعمراتهما في آسيا

واسرائيل ليست المثل الوحيد في العالم للاستعمار الاستيطاني . فأمريكا نفسها واوستراليا ونيوزيلندا امثلة على الاستعمار الاستيطاني الناجح نجاحا تاماً بحيث اصبح « الشعب الجديد » الذي حل محل « الشعب القديم » حلولاً تاماً هو صاحب الارض ، واصبح « الشعب القديم » في حكم المفقود . ثم هناك جنوب افريقيا وروديسيا ، حيث لم يكتف المستعمرون بالقبض على السلطة ، بل قبضوا على التراب نفسه . ولم يكتفوا باستعباد السكان الاصليين بل حصروهم جغرافيا بالاضافة الى محاصرتهم اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وانسانياً .

إن الصعوبة الأساسية التي يمكن ان يجدها الاستعمار في اقامة استعمار استيطاني في منطقة كمنطقة الشرق الاوسط ، هي أن سكان هذه المنطقة ليسوا سكاناً بدائيين كما هو الحال في سكان الاميركتين او اوستراليا ، او جنوب افريقيا ووسطها وإنما هم سكان متحضرون ، وان كانوا متخلفين ، لهم تاريخ وحضارة ومجتمع قائم بذاته . وبالتالي فإن احلال شعب جديد مكانهم ليس بالسهولة التي يمكن بها احلال شعب مكان سكان بدائيين منقطعي الصلة بالعالم وبالتاريخ وبالحضارة .

ولكن الاستعمار تمكن من التغلب على هذه الصعوبة حين التقى بقاؤه الحتمي مع الحركة الصهيونية . فإحلال سكان بريطانيين او فرنسيين في المنطقة محل السكان العرب كان لا بد ان يخلق صعوبات جمة وأن ينتهي بالفشل التام كما اثبتت محاولة الاستعمار الاستيطاني في الجزائر . ولكن الحركة الصهيونية قدمت للاستعمار الحل المناسب . فصهيونيو العالم ليسوا شعبا مستقلاً قائماً بذاته يمكن ، اذا فشل استعماره ، ان يعود الى وطنه ، كما هو الحال مع الانكليز والفرنسيين ، وإنما هم موزعون في انحاء الأرض ، تربطهم بفلسطين رابطة روحية وتاريخية ، يمكن استغلالها للتغلب على مصاعب تطبيق الاستعمار الاستيطاني على سكان متحضرين كالعرب .

والصهيونية ، المنبثقة عن نفس الأسس التي انبثق عنها الاستعمار الغربي ، وهي الأسس القائمة على التقدم البورجوازي الاحتكاري الاستعماري العنصري ، كان لا بد أن تجد حليفها الطبيعي في الامبريالية ، وكان لا بد أن يلتقي التياران في مجرى واحد ، من اجل ان يعمل الاستعمار على توطين الصهيونية في فلسطين ، ومن اجل ان تكون الصهيونية في فلسطين موطىء القدم الثابتة للاستعمار في منطقة الشرق الاوسط .

فلقاء الصهيونية بالاستعمار لقاء حتمي . ليس ابن صدفة، ولا هو نتيجة . . . « الدعاية الناجحة » للصهيونية في الغرب ، او « ضعف الدعاية » العربية في الخارج ، او عجز العرب عن عرض قضيتهم على مسامع الدنيا ، كما يحلو للبعض أن يدعي . فما دامت المصالح الامبريالية موجودة في المنطقة ، وما دامت اسرائيل تمثل رأس جسر الاستعمار في المحافظة المباشرة على هذه المصالح ، فمن قبيل العبث الادعاء بأن عرضاً أفضل للقضية العربية امام الغرب الامبريالي يمكن أن يعكس هذا التحالف الحتمي ، ويجعل الغرب الى جانبنا ، وضد الصهيونية ، لأننا بذلك انما نريد من الامبريالية ان تعكس دورها ، وان تحارب نفسها الى جانبنا بنفسها .

ان حتمية وقوف الامبريالية الى جانب الصهيونية هو الذي يفسر انتقال الدعم الاساسي للصهيونية من عاتق بريطانيا الى عاتق الولايات المتحدة ، بعد الحرب العالمية الثانية . لأن مركز ثقل الامبريالية هو الذي انتقل من بريطانيا الى الولايات المتحدة . وبعد ان كانت بريطانيا هي قائدة الامبريالية العالمية ، والحامية الأولى للصهيونية ، اصبحت الولايات المتحدة هي الدولة الامبريالية الأولى وهي الحامية الاولى للصهيونية في نفس الوقت .

ومن هنا ايضاً تفسير ما نراه احياناً من تبدل في موقف بعض دول الغرب كفرنسا بشكل خاص ، من قضية فلسطين . فتأييد أي دولة غربية للصهيونية تتناسب تناسباً طردياً مع مقدار ارتباطها بالامبريالية العالمية ، وبالتالي بالولايات المتحدة الاميركية . فإذا انكمش هذا الارتباط انكمش التأييد لاسرائيل . واذا تصاعد تصاعد التأييد لاسرائيل .

ومن هنا ، ايضا ، ما بدا من تناقض بين موقف الولايات المتحدة من جهة ، وموقف بريطانيا وفرنسا من جهة اخرى ، في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ . فحين كانت بريطانيا وفرنسا تحاولان بهذا العدوان المحافظة على البقية الباقية من آثار امبرياليتهما في الشرق الاقصى ، وقناة السويس والجزائر وافريقيا ، اضطرت الولايات المتحدة ، في محاولتها الناجحة للاستيلاء على قوى الامبريالية في العالم ، ان تقف ضد العدوان الثلاثي ، وضد اسرائيل ، للمرة الأولى والأخيرة في ربع القرن الأخير . وبتأميم قناة السويس وبانسحاب فرنسا وبريطانيا من معظم مستعمراتهما في آسيا

وافريقيا ، وباستقلال الجزائر ، تكرست زعامة الولايات المتحدة للقوى الامبريالية ، ورجعت لتأييد اسرائيل تأييدا كاملا لا يشوبه أي تحفظ او تردد .

ان تأييد الولايات المتحدة لاسرائيل ، اذن ، ليس نابعاً من ضعف الدعاية العربية ، ولا هو نابع من كثرة السكان اليهود في الولايات المتحدة ، ولا من أهمية اصواتهم في الانتخابات ، ولا من استيلائهم على بيوتات المال والدعاية . فمع أن هذه العوامل كلها حقائق ثابتة ، لكنها لم تكن ذات اثر كبير الا اذا انطبقت مصالح الصهيونية على مصالح الامبريالية انطباقا تاما . فقد كان لليهود نفس المركز ، نفس القوة في الولايات المتحدة قبل الحرب العالمية الثانية ، وبعدها .* ومع ذلك فلم ترتبط الولايات المتحدة . إذ لم يرتبط يهود الولايات المتحدة انفسهم ، بالصهيونية ، الا حين تم انتقال زعامة الامبريالية من يد بريطانيا الى يد الولايات المتحدة .

* *

ما الذي يعنيه هذا كله ؟

انه يعني اننا ، في مواجهتنا لاسرائيل ، لا بد لنا من مواجهة القوى الامبريالية التي لا ترى مندوحة عن وجود اسرائيل في سبيل المحافظة على مصالحها هي .

وهو يعني اننا ، في أي تخطيط لتحرير فلسطين لا بد لنا من ان نضع في حسابنا اننا سوف نقاتل القوى الصهيونية مع القوى الامبريالية في آن معاً .

واذا كانت القوى الامبريالية لم تتدخل في الحرب الاسرائيلية بشكل مباشر عام ١٩٤٨ ، وعام ١٩٦٧ بينما اشتركت مباشرة عام ١٩٥٦ ، فلأنها كانت واثقة من أن اسرائيل قادرة ، وحدها ، على القيام بالمهمة الموكولة اليها ، وأن ليس على القوى الامبريالية إلا مدها اقتصادياً ودعمها سياسياً ، وحمايتها من الخط الخلفي عسكرياً . فذلك احرى بأن يجعل من الحرب الاستعمارية حربا « نظيفة ! » ويظهرها بمظهر الخلاف العادي بين دولتين متجاورتين . ولو ساور القوى الامبريالية اي شك في قدرة اسرائيل على القيام بهذه المهمة لتدخلت قطعاً بالشكل الذي يضمن حماية اسرائيل .

ثم إن هذا التحليل يفسر لنا بعض الخلاف الذي يمكن ان ينشأ ، احيانا ، بين اسرائيل والولايات المتحدة . كالخلاف الذي « كاد » أن يحصل عند عرض « مبادرة

روجرز » في محاولة الضغط للوصول الى « الحل السلمي » فالذي يهم الولايات المتحدة ، كقوة امبريالية كبرى ذات مصالح في الشرق الاوسط ، هو بقاء الوجود الاسرائيلي من جهة ، وبقاؤه منتصرا مهدداً قوياً باستمرار من جهة اخرى . ولكن ليس من همها ان تدافع عن التوسع الاسرائيلي الا بالقدر الذي تحافظ فيه على الوجود الاسرائيلي وصموده ، وتحافظ فيه على العلاقة المتينة التي لا بد من توفرها بين القوى الامبريالية وبين القوى الاسرائيلية . بينما يهم اسرائيل نفسها ان تحافظ على الاراضي التي احتلتها بالقوة ، وأن تحافظ على الحواجز الاستراتيجية ، قناة السويس من جهة ونهر الاردن من جهة اخرى ، التي تحمي اسرائيل حماية طبيعية . فاسرائيل يهمها الوجود ويهمها الصمود ، وتهمها الحدود كذلك . بينما ، اذا شعرت الولايات المتحدة بأن من مصلحتها للمحافظةعلى مصالحها في الشرق الاوسط ، القائمة على المحافظة على امتيازاتها البترولية من جهة ، وعلى الأنظمة العربية المجزأة من جهة اخرى ، ان تقلص هذه الحدود بعض الشيء ، فتكسب بقاء الوجود الاسرائيلي اولا ، وتمده بالمال والسلاح ليبقى قوة مهددة ثانيا ، وتكسب ، في نفس الوقت « صداقة » الأنظمة العربية القائمة ثالثا ، لم تتورع عن الاقدام على ذلك ، ولو ادت هذه السياسة الى اغضاب اسرائيل بعض الغضب .

* *

نحن ، اذن حين نجابه « دولة اسرائيل » فنحن لا نجابه مجرد دولة معتدية ، وإنما نجابه لوناً من الوان « الاستعمار الاستيطاني » الذي هو أثمن انواع الاستعمار ، والذي يحمل معه كل قوة الاستعمار الدولية ، ولكن مغلفة بغلاف خلاف عربي اسرائيلي محض .

وسيلة الحرب ضد اسْرائيل :

إن هذا التحليل يقودنا ، بعد ذلك كله ، الى الجواب عن السؤال الرئيسي الذي يطرح نفسه ، وهو كيف السبيل الى تحرير فلسطين ؟

ولعل من الواجب هنا ، لاسيما بعد ان تردد الحديث كثيراً في « ازالة اثار العدوان » وفي « استرجاع حقوق شعب فلسطين » ، وفي « الحل السلمي » و« قرار

مجلس الأمن » ، أن نوضح ان « تحرير فلسطين » لا يمكن أن يعني شيئاً من هذا قط . فكل هذه الشعارات لا تعني تحرير فلسطين . لأنها جميعا ، تنطوي على الاعتراف « بالوجود الاسرائيلي » ، أي بوجود رأس الجسر الامبريالية في المنطقة ، أي ببقاء الاسفين المعادي المهدد باستمرار لتقدم الأمة العربية ، ووحدتها وتحررها من ربقة الاستعباد للاحتكارات والمصالح البترولية . ان مجرد هذا الوجود ، لا حدوده ، هو الذي يحكم على المنطقة ببقاء السيطرة الامبريالية فيها . وهذه الشعارات ـ وان تكن ضد مصلحة اسرائيل المباشرة ـ ليست ضد مصلحة الامبريالية ابدا .

ومهما يكن هناك من تبرير تكتيكي للمناداة بهذه الشعارات ، إنه علينا ان ندرك ، وبوضوح تام لا يقبل التأويل ولا التفسير ، ان هذه الشعارات شيء ، وان تحرير فلسطين ، وبالتالي تحرير الوطن العربي من سيطرة الامبريالية المستندة الى الوجود الاسرائيلي ، شيء آخر . فكل هذه الشعارات تضمن بقاء الاسفين المعادي من جهة ، وتضمن بقاء قوته واستمرارها بل وتصعيدها ـ بفتح الممرات المائية ، وتجريد بعض المناطق من السلاح ، والاعتراف باسرائيل بشكل او بآخر ـ من جهة اخرى .

لذلك ، ومهما تكن مبررات هذه الشعارات في مرحلة ما ، من حيث القدرة او العجز عن تحقيقها او تحقيق ما هو ابعد منها ، الذي لا يجوز ، ابداً ، ان يغيب عن اذهاننا ، هو الفرق الكبير بين هذه الشعارات وبين « تحرير فلسطين » .

فتحرير فلسطين لا يمكن ان يعني شيئا اقل من ازالة الوجود الاسرائيلي ، كدولة وكمؤسسة استعمارية استيطانية ، او ، وفي ادنى الحدود ، اضعاف هذا الوجود الى حد يصبح فيه استمرار الوجود رهناً بارادة الأمة العربية ، كما يستمر الوجود الاستعماري في « هونغ كونغ » رهنا بارادة الشعب الصيني . حينذاك ، وحينذاك فقط ، يتم تحرير فلسطين ، ويمكن عندئذ بحث مشكلة اليهود المقيمين فيها بأوسع الطرق واكثرها انسانية ورحمة وانفتاحاً . أي بتحويل القضية من مشكلة صهيونية الى مشكلة يهودية محض .

* *

فهل ثمة سبيل الى تحرير فلسطين بهذا المعنى ؟

أ ـ الحلول السياسية

لا بد لنا ، اولاً من أن نطرح جانباً القول بـإمكان التـوصل الى تحـرير فلسـطين عن طريق الحلول السياسية . فالحلول السيـاسية لأي مشكلةٍ في حقيقتهـا ، ليست الا انعكاساً لحقيقة القوى الفـاعلة في هذه المشكلة في زمـان ومكان محـددين . ان أي حل سيـاسي للقضية الفلسـطينية في أي وقت هـو انعكاس لميـزان القـوى في ذلـك الـوقت بالذات ، وليس انعكاساً لأي قيمـة من قيم العدالـة او الحق او السلام التي تتضمنهـا تلك القضية ، الا بالقدر الذي تنعكس فيه هذه القيم بشكل قوي تعبر عنها وتتحدث باسمها .

اذا جـاءت محـاولات الحـل السلمي في وقت تحتـل فيـه اسـرائيـل كـل ارض فلسطينية ، واجزاء أخرى من الدول العربية المحيطة بفلسـطين ، وفي وقت تشعر فيـه اسرائيل بأنها قادرة على المحافظة على الاجزاء المحتلة ، معتمدة اعتماداً كلياً على العون الاميركي غير المحدود ، وفي وقت تشعر فيه اسرائيـل بأن الـدول العربيـة عاجـزة عن زحزحتها من الأماكن التي تحتلها بـالقوة ، اذا جـاءت محاولات الحـل السلمي في وقت كهذا ، كان الحل السلمي مجرد انعكاس لهذه الحقيقة . وإن أقصى ما يمكن أن تـطمع الدول العربيـة في الحصول عليـه في مثل هـذا الوضـع هو محـاولة زج اسفـين في تلك الفجوة البسيطة القائمة بين مصالح اسرائيل المباشرة وبين مصالح الامبـرياليـة لمحاولـة الحصول على ذلك « الفرق » بين المصلحتين .

بمعنى آخر فإن على الدول في مثل هذا الوضع أن تشتـري هذا الفـرق ، المتمثل في جزء من الارض المحتلة ، مقابل مزيد من ضمان المصالح الاميـركية ، الامبـرياليـة في الشـرق الاوسط . وحتى هذا الفـرق البسيط لا يمكن الحصول عليـه الا اذا شعرت الولايات المتحدة بأن مصالحها ، ومصالح اسرائيل بـالتالي ، مهـددة بخطر مـا . ولعل هـذا الامر هـو الذي يفسر لنـا معنى « توقيت » المبـادرة الاميركيـة المسمـاة « بمشـروع روجرز » . فهذه المبادرة لم تطرح عـام ١٩٦٧ ، ولا عام ١٩٦٨ ، ولا عـام ١٩٦٩ ، وإنما طرحت عام ١٩٧٠ ، حين شعرت الولايات المتحدة بأن ميزان القوى القائم بـدأ يعتدل بعض الاعتدال بارتفاع مستوى الثورة الفلسـطينية ، بـارتفاع مستـوى الصمود المصري ، بزيادة العون السوفياتي المباشر ، وبتهديد بعض المصالح الاميركية في الشرق

الاوسط ، لاسيما بعد انقلابي ليبيا والسودان .

ومن الواضح اننا حين نتحدث عن ميزان القوى فنحن لا نتحدث عن قيمة حسابية ثابتة ، وإنما نتحدث عن عملية تاريخية متغيرة . فميزان القوى ، اليوم ، هو غير ميزان القوى عام ١٩٦٧ ، ولذلك اضطرت الولايات المتحدة الى عرض المبادرة الاميركية التي تعكس ميزان القوى القائم اثناء ذلك العرض . واذا كان العرب قد توصلوا الى تعديل ميزان القوى بحيث استلزم هذا التعديل عرض هذه المبادرة ، فلا بد من التساؤل هنا عما اذا كان التعديل الذي تمكن منه العرب هو « اقصى » ما يمكن ان يتمكنوا منه ، وهنا لا بد ، اذن ، من قبول الحل السلمي ، ام أن هذا التعديل هو « خطوة » اولى في طريق طويل ، وحينئذ لا بد من رفض الحل ، والانطلاق الى مزيد من القوة ، للحصول على مزيد من تعديل هذا الميزان .

وما دام الحل السلمي مجرد انعكاس لحقيقة القوى الفاعلة في القضية ، فلا بد من طرح موضوعه جانباً ، والتركيز في البحث على هذه القوى في حقيقتها .

ب ـ الجيوش العربية

من الواضح كما قلنا ، ان اسرائيل لون من الوان الاستعمار . ولكنه لون « شاذ » لأنه استعمار استيطاني اولاً ، ولأنه تمكن ، على نقيض الاستعمار الاستيطاني في جنوب افريقيا وروديسيا ، من اقامة دولة وشعب مستوطن على انقاض السكان الاصليين الذين تمكن من تهجيرهم ، فأصبحت للمستوطنين ، بذلك ، اكثرية سكانية ، واصبح العرب القاطنون في فلسطين اقلية سكانية ، وبذلك اصبحت اسرائيل دولة ذات شعب ، لا مجرد سلطة فوقية معتمدة على اقلية سكانية تضطهد الأكثرية وتتسلط عليها كما هو الحال في مناطق الاستعمار الاستيطاني الأخرى .

اسرائيل ، اذن ، دولة مثلها في ظاهر الامر مثل كل دولة اخرى . لها ارض وشعب ومجتمع وجيش .

لذلك فإن أول ما يخطر في البال ، في كيفية معالجة امر اسرائيل ، والعمل على تحرير فلسطين ، هو مجابهة عسكرية لهذه الدولة تقوم بها الدول العربية بواسطة قواتها المسلحة النظامية ، تستهدف هزيمة اسرائيل ، واسقاط الدولة الصهيونية وبالتالي تحرير فلسطين .

ولا ريب في أن سياسة الدول العربية طيلة ربع القرن الماضي كانت متجهة في هذا الاتجاه من اتجاهات التحرير .

ولا ريب ، كذلك ، في ان تحقيق هذه الهزيمة كفيل ، فعلا ، بتحرير فلسطين ، وحتى ولو كانت هذه الهزيمة هزيمة جزئية . فخطر اسرائيل ، وبالتالي صلفها وغطرستها واصرارها على التوسع وكونها رأس جسر للاستعمار ، إنما يقوم اساساً على ابقائها منتصرة او قادرة على الانتصار في أي وقت وعلى أي قوة عربية وهزيمتها ، حتى ولو كانت الهزيمة غير كاملة ، كفيلة بانهاء خطرها ولو بقي بعض الوجود الاسرائيلي .

ولكن السؤال الذي لا بد ، ان يطرح نفسه : ما هو مدى قدرة الجيوش العربية على تحقيق هذه الهزيمة ؟

واذا كانت تجربة ربع القرن الماضي قد دلت على أن اسرائيل كانت قادرة على أن تهزم الجيوش العربية في كل مرة تلاقت معها في ساحة حرب ، كما حصل في الأعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، فهل معنى ذلك انها ستظل قادرة على ذلك ، وباستمرار ؟

ان الجواب السطحي عن مثل هذا السؤال يكون ، بطبيعة الحال ، بالنفي . والسياسة التي اتبعتها الدول العربية خلال ربع القرن الماضي تدل ، ايضا ، على ايمانها بهذا النفي . فقد عالجت موضوع المجابهة لاسرائيل على اساس أن هذه المجابهة لا بد أن تكون مجابهة حربية . والمجابهة الحربية انما تقتضي مزيدا من الاستعداد الحربي ، وكل ما يقتضيه هذا الاستعداد الحربي هو زيادة في عدة الحرب وفي اداتها . ومع ذلك ، فقد ثبت انه كلما ازداد استعداد الدول العربية للحرب ، كلما بعدت الشقة في ميزان القوى الحربي ، وبين هذه الدول وبين اسرائيل ، واثبتت اسرائيل انها قادرة على تجاوز القدرة العربية ، وأنها قادرة على حفظ ميزان القوى في صالحها الى حد كبير . وحتى بعد هزيمة حزيران ، وحتى بعد الجهد الهائل الذي وضعته بعض الدول العربية ، ولاسيما مصر ، في تجديد قواتها المسلحة ، وحتى بعد العون الكبير الذي قدمه الاتحاد السوفياتي في هذا المضمار ، فالشقة ما تزال واسعة ، والقدرة على القيام بهجوم تحريري شامل ما تزال بعيدة التحقيق .

ومن الواضح انه لا يجوز لنا التوصل الى استنتاجات عامة من واقع الحال اليوم . فقد يقال أن الوضع يتحسن باستمرار فما لا يمكن تحقيقه اليوم يمكن تحقيقه بعد ثلاث سنوات او خمس او عشر . وقد يقال ان التجزئة القائمة حالياً ، في الدول العربية وفي القوى العربية ، يمكن التغلب عليها ، ولو في الميدان العسكري ، وبذلك تتضاعف القدرة العربية . وان مستقبل قوتنا هو الذي يجب ان تحسب حسابه لا حاضر قوتنا .

وكل ذلك صحيح . ولكن الصحيح ايضاً اننا ، في كل حساباتنا هذه ، إنما نهمل الحقيقة الأساسية الكبرى في واقع مجابهتنا لاسرائيل ، وهي أننا لم نحارب ، في الماضي القدرة الاسرائيلية وحدها ، ولن نحارب في المستقبل القدرة الاسرائيلية ، وحدها ، وإنما نحارب ، في الواقع ، القوى الامبريالية الكبرى ، مجسدة في هذه الدولة المسماة اسرائيل .

ان جميع الافتراضيات القائمة على أساس الانتصار في مجابهة عسكرية مباشرة مع اسرائيل ، تعتمد على أن هذه المجابهة سوف تقوم في خواء . وان العالم سوف يكتفي بالتفرج على هذه المجابهة ونتائجها . وهي بالتالي تهمل حقيقة معنى الوجود الاسرائيلي .

مؤتمرات القمة التي عقدت قبل الهزيمة كانت تفترض ان من واجب القوة العربية المهاجمة لاسرائيل أن تكون ثلاثة اضعاف القوة الاسرائيلية المدافعة ، من اجل ان تؤمن النصر . هذا الافتراض كان ، طبعا ، صحيحاً حين كانت الجيوش العربية تقف في قلقيلية وفي سيناء وعلى جبال الجولان ، لا على نهر الأردن وقناة السويس وسهول حوران . وكان هذا الافتراض صحيحاً اذا صح الافتراض الثاني الذي يقوم عليه ، وهو أن المعركة سوف تدور بين الدول العربية وبين اسرائيل فحسب ، وان دول العالم كلها ، بما فيها الولايات المتحدة ، سوف تكتفي من المعركة بالتفرج ، اذ انها لن تتدخل إلّا بعد فوات الآوان .

ولكن ادراكنا لحقيقة معنى الوجود الاسرائيلي ، يفرض علينا اداركاً وتقديراً حقيقياً لمعنى قوة اسرائيل وقدرتها . فالالتحام الكامل القائم بين اسرائيل وبين القوى الامبريالية ، ولاسيما الولايات المتحدة ، جعل لاسرائيل قوة تفوق كثيرا قدراتها الذاتية

في أي مجال من مجالات الحياة ، لاسيما قدراتها الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية . وحين تحارب الجيوش العربية اسرائيل ، او حين تستعد لمحاربتها ، فهي لا تحارب القدرة الاسرائيلية وحدها ، وإنما تحارب القدرة الامبريالية من ورائها .

والمساعدات المالية الضخمة والعون العسكري الضخم الذي نالته اسرائيل من الولايات المتحدة رداً على العون السوفياتي للجمهورية العربية المتحدة ، لا يمثل مقدار « عطف » الولايات المتحدة على اسرائيل ، بقدر ما يمثل مقدار تصميم الولايات المتحدة على الدفاع عن مصالحها في الشرق الاوسط . والخمسمائة مليون دولار التي خصصتها الولايات المتحدة سنوياً لاسرائيل ومدها بمئات الطائرات والدبابات والأجهزة الالكترونية والصواريخ المضادة للصواريخ ، كل ذلك ليس الا الثمن الذي تدفعه الولايات المتحدة من اجل الحفاظ على مصالحها الامبريالية في المنطقة ، وهي التي تمثل القوة الحقيقية التي تقف امام أي مجابهة عربية لاسرائيل .

ولئن كانت اسرائيل تخوض حروبها ، بعد كل تلك المساعدات ، وحدها ، فلأنها قادرة على القيام بالمهمة الملقاة على عاتقها وحدها . ولكن في اللحظة التي تشعر فيها الولايات المتحدة بأن اسرائيل ، على رغم كل الفيض من المساعدات الذي يصلها ، عاجزة عن الصمود وحدها ، فإنها لا بد أن تتدخل في الحرب مباشرة ، كما فعلت في فيتنام ، وكما فعلت بريطانيا وفرنسا عام ١٩٥٦ .

ومهما بلغت مساعدات الاتحاد السوفياتي للدول العربية ، فإن مساعدات الولايات المتحدة لاسرائيل ستظل اعظم ، لأن نوع الرابطة التي تربط الاتحاد السوفياتي بالدول العربية غير التي تربط الولايات المتحدة باسرائيل ، او بالتالي بمصالحها في الشرق الاوسط ، إن دخل الولايات المتحدة السنوي من البترول وحده ، من منطقة الخليج العربي وحدها ومن استخراج البترول الخام وحده ما عدا نقله وتكريره وتوزيعه ـ يتجاوز الألفي مليون دولار سنويا . ومثل هذا الدخل لا بد أن يدفع الولايات المتحدة الى الدفاع عن وجودها ووجود احتكاراتها في المنطقة الى درجة يصعب ان تضاربها اية دولة اخرى .

* *

ما معنى ذلك كله ؟

معناه أن الجيوش العربية ، ولو تضاعفت قدرتها ، ولو توحدت قياداتها ، ستظل عاجزة عن تحرير فلسطين ، ما دام المجتمع الاسرائيلي متماسكاً مع نفسه ، وما دامت القوى الامبريالية مصممة على الابقاء على اسرائيل رأس جسر لنفوذها ومصالحها في الشرق الاوسط .

أي ان « ساعة الصفر » التي كثيراً ما يتحدث عنها القادة العسكريون العرب ، ساعة وهمية لن تأتي ما دام وضع اسرائيل هو بالشكل الذي نعرفه ، وما دامت صلتها بالامبريالية قوية لم تتزعزع . وبالتالي فإن كل حديث عن تحرير لفلسطين بواسطةحرب كلاسيكية ، فهو اما وهم مخدوع ، وإما وهم خادع .

جـ ـ الثورة الفلسطينية :

ولكن اسرائيل ليست دولة فحسب ، لتكون معالجتها عن طريق الحرب الكلاسيكية فحسب . وانما هي ، قبل ذلك وفوق ذلك استعمار . ونقيض أي استعمار هو الثورة الشعبية . ولئن اضاع العرب وقتاً ثميناً في محاولة الاعتماد الكامل على اسلوب الحرب الكلاسيكية وحدها منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٥ حين ولد العمل الفدائي على يد « فتح » فإن ولادة هذه الثورة قد فتحت ، بلا ريب ، صفحة جديدة في معالجة هذه المشكلة اكثر نفاذا الى اعماقها من أي اسلوب سابق .

ان الثورة ، لا الحرب ، هي الرد الحاسم لكل استعمار للأسباب التالية :

١ ـ لأن الثورة هي وحدها التي تتيح للجماهير الشعبية ان تستعمل قدراتها الذاتية في المقاومة بالاعتماد على ابسط الاسلحة والوسائل ـ بل بالاعتماد احياناً على الوسائل السلمية وحدها ـ كما كان الحال في الهند ـ لتخريب النظام الاستعماري وبنائه التحتي ، وخلخلة قواعده . إن قوة الثورة لا يمكن ان تنبع من ضخامة الاسلحة المتقدمة تكنولوجيا التي تملكها ، فهي لا يمكن ان تنافس في ذلك القوة المستعمرة التي تتفوق عليها في هذا المضمار تفوقاً كبيراً ، بل من قدرتها على الاستفادة من امكاناتها البسيطة لتفجير القوة المتفوقة وحرمانها من ميزة تفوقها التكنولوجي .

٢ ـ لأن الثورة غير قابلة للهزيمة ، عسكرياً ، بسهولة ، فليس للثورة خطوط

دفاعية . بل هي تعتمد على « مسطح مواجهة » شعبي . لا يهمها ما تفقد من أرض لأنه ليس لديها ارض تملكها . وليس بإمكان الاستعمار ان يحطم قواها العسكرية لأن هذه القوى غير ثابتة . الاستعمار في حالة الثورة ، يواجه خصماً لا يكاد يراه ، ينبع له من أي مكان ، وفي أي زمان ، ليعطل اداته الحربية الضخمة ، ويلجم قدرته على الحركة ، ليشيع الفوضى والقلق في حياة السكان .

٣ ـ لأن الثورة قادرة على بعث الطاقات الجماهيرية المكبوتة بعثاً عميقاً وأساسياً . عن طريق تحرير الانسان من تخلف عبوديته ، بممارسة العمل التحرري الأول ، الثورة . إن قيمة الثورة لا يمكن ان تقاس بالخسائر التي تنزلها بالعدو المستعمر فحسب ، بل تقاس بمقدار الطاقات التي تحركها في الشعب الثائر . إنها لا تحارب عدوا فحسب ، بل تخلق شعبا حيا رافضا للعبودية . والثورة ، بطبيعة وسائلها البسيطة غير المحدودة قادرة على ان تحتوي كل انسان وكل طاقة في أي مجال من مجالات الحياة . يمكن ان تدخل كل بيت . وقلب كل انسان . تخلق امام القوة المستعمرة ، لا جنودا محترفين مقاتلين فقط ، بل شعباً ثائراً .

من اجل ذلك كله كانت الثورة ، دائما ، هي الجواب الحاسم لتحدي الاستعمار . واسرائيل استعمار . وكان لا بد للثورة ان تولد ، ولو متأخرة ، من أجل مجابهة هذا الاستعمار الاسرائيلي .

* *

ولا حاجة بنا الى الاطالة في وصف ما فعلته الثورة على رغم حداثتها ، في كل من العدو ومن شعبنا في آن معاً .

يكفي هذه الثورة أنها ابقت على نار المعركة مشتعلة بيننا وبين العدو منذ وقف اطلاق النار عام ١٩٦٧ حتى الآن ، ولم تسمح بذلك ، لأحد ، لا لاسرائيل ، ولا للولايات المتحدة ، ولا للدول العربية ، أن تعقد سلاماً مزيفاً مع اسرائيل . يكفيها انها لم تعترف بوقف اطلاق النار ذلك ، وأنها استمرت في معركتها يوم ظن كثير من الناس ، مسؤولين وغير مسؤولين ، ان المعركة انتهت او كادت ، وعم التفكير في كيفية الوصول الى الصلح ، وفي شروط ذلك الصلح . ابقت الثورة على النار مشتعلة ـ

زرعت الجمر في طريق كل من ظن أن الطريق اصبحت ممهدة لانهاء قضية فلسطين وتصفيتها .

لكنها فعلت أكثر من ذلك بكثير . انها اضطرت اسرائيل الى اتخاذ الاجراء تلو الاجراء لحماية حياة سكانها ، لزيادة تحصين حدودها ، للابقاء على تجنيد ابنائها ، لاطالة مدة هذا التجنيد واطالة مدة احتياطيه ، لمزيد من البذل والعطاء للتسليح وللأمن وللجيش ، لتحمل الخسائر في حياة جنودها وفي عدتها ، وهي فوق ذلك قد عملت على خلخلة الحياة الاسرائيلية والمجتمع الاسرائيلي بشريا ونفسيا واقتصاديا ، وخلخلت روح الايمان بالنصر الكامل ، وبالحياة الكريمةفي نفوس ابناء هذا المجتمع .

وفوق ذلك كله فقد فعلت ما هو ارفع من ذلك بكثير . ردت للانسان العربي ايمانه بنفسه ، وبأرضه وبكرامته . أحيت في الانسان العربي روح الصمود ، والمقاومة والاستشهاد في سبيل الوطن . حركت الجماهير العربية بعد ان ران عليها الركود طيلة سنوات وسنوات من الوان الحكم الدكتاتوري والرجعي والعسكري في دولها العربية المختلفة . حررت الانسان العربي من القيود النفسية التي وضعته فيها الأنظمة . احيته من بعد موات . وكان ذلك هو الكسب الأكبر الذي حققته هذه الثورة .

يكفي ان الثورة فعلت هذا كله .

ومع ذلك فإن الثورة لم تحرر شبراً واحداً من الارض .

« فشذوذ » الاستعمار الاسرائيلي عن كل لون من الوان الاستعمار في العالم ، قد يفرض نفسه على الثورة ، كذلك ليجعلها « شاذة » بين كل ثورات العالم .

فكون اسرائيل استعماراً استيطانياً ، وحده ، قد فرض على الثورة اعباء وصعوبات لا تواجهها ، عادة الثورات المعادية للاستعمار حين يكون الاستعمار مجرد قوة فوقية تتمثل في ادارة وفي جيش . ان وجود « شعب مستعمر » يضيف بعداً جديداً للاستعمار ويجعله اكثر رسوخاً واشد صلابة .

فإذا كان هذا الاستعمار الاستيطاني قد نجح ، كما هو الحال في اسرائيل ، في جعل شعبه المستعمر اكثرية ، وتحويل الشعب المستعمر الى اقلية ، بالتهجير ، او بغير ذلك من الوسائل ، واجهت الثورة اصعب ما يمكن ان تواجهه ثورة في العالم، ثورة

اقلية متخلفة ضد اكثرية متقدمة .

من هنا كان على الثورة الفلسطينية ان تكون ، بالضرورة ، وفي الدرجة الأولى ، ثورة من « الخارج » أي من خارج الأرض المحتلة . ومن هنا كان لا بد لها ان تقاتل الاستعمار على حدوده لا من قلبه كما هو الحال في كل ثورات العالم الاخرى . وهنا تنشأ الصعوبة الأولى والشذوذ الأول . وعلى رغم كل محاولات الثورة في نقل ميدان عملياتها الى الداخل ، فإن ميزان القوى السكانية من جهة ، وقدرة اسرائيل التقنية الهائلة ، واستغلالها هذه القدرة في « ختم » حدودها ختماً يكاد يكون نهائياً في وجه امكانات استيراد الاسلحة ، يعطل هذه المحاولات الى حد كبير . وبذلك تكون محاولات الثورة من الخارج اقرب ما يمكن الى وسائل الحرب الكلاسيكية منها الى وسائل الثورة الداخلية .

يضاف الى ذلك ان كون هذه الثورة « من الخارج » يفرض عليها ان تنطلق من اراض عربية محيطة بالارض المحتلة ، تحكمها انظمة ليست في ذاتها نتاج هذه الثورة مهما بلغ تعاطفها معها . ومثل هذا الوضع لا بد ان يخلق بعض التناقض الحتمي بين الثورة وبين النظام الذي تنطلق في ظله مهما حاول الطرفان ان يتفاديا اسباب التناقض . فالثورة ، بالضرورة ، لا تكون ثورة الا اذا تمتعت بحريتها . ولكن النظام ، كذلك ، لا يكون نظاما اذا لم تكن له السيطرة على كل ما يجري في ارضه . ومن هنا كان على الثورة في احسن أحوالها، ان تكون محكومة بمدى تطابق اهدافها ووسائلها مع اهداف النظام الحاكم ووسائله .

بسبب ذلك فالثورة الفلسطينية ، ثورة شاذة ، ثورة تختلف عن كل ثورة اخرى مضادة للاستعمار . وبسبب ذلك ، ايضا ، وعلى رغم كل بطولاتها ، وكل ما فعلته فقد عجزت ، وستظل تعجز ، عن تحرير شبر واحد من الارض .

فالارض المستعمرة استعماراً استيطانياً لا يمكن تحريرها بالثورة من الخارج . ولا يمكن تحريرها بثورة من الداخل ـ على رغم كل بطولات قطاع غزة ـ تقوم بها اقلية من السكان متخلفة ضد اكثرية تتمتع بكل ما به الشعوب المتقدمة من مزايا .

* *

كيف يمكن التحرير :

فلئن كانت الجيوش العربية عاجزة عن تحرير الارض بسبب طغيان القوة المعادية وتحالفها الحتمي مع قوى الامبريالية ، ولئن كانت الثورة الفلسطينية عاجزة عن تحرير الارض بسبب الاوضاع الشاذة التي تفرضها عليها اوضاع اسرائيل الشاذة ،

افما من سبيل لتحرير الأرض ؟

بلى . . .

ثمة سبيل . وهو السبيل الوحيد الذي تتلخص فيه كل انواع النضال ضد الاستعمار .

وهذا السبيل هو ان تجعل « تكاليف » الابقاء على الاستعمار أعلى من مردود « المصالح » التي يريد الاستعمار الابقاء عليها . حينذاك ، وحينذاك فقط ، يمكن تحرير فلسطين .

ولننطلق الى مزيد من تفسير ما نريد .

* *

فالاستعمار ، اولاً وآخراً ، وفي كل اشكاله والوانه المختلفة ، يتلخص في أنه مجموعة مصالح واحتكارات وامتيازات اقتصادية استغلالية ، تسخر من اجل المحافظة عليها كل الوسائل الممكنة ، ومن جملتها احتلال الارض ، واحتلال الارض المجاورة - لفوائدها الاستراتيجية ! - واقامة الحكومات الصورية التابعة ، ورشوة طبقات من الشعب الذي تنهب مصالحه واشراكها في بعض فضلات هذه المصالح ، بل والدخول في حروب محلية وعالمية من اجل المحافظة على هذه المصالح .

ان كل استعمار هو تحد للشعوب المغلوبة على امرها . والتحدي لا بد أن يقود الى المقاومة . والمقاومة لا بد ان تقود الى الرد عليها بالعنف . والعنف يجر الى العنف . وتقوم الثورات المختلفة .

ولكن الثورة ، كما لا يمكن ان تكون قابلة للهزيمة ، عسكريا ، عاجزة كذلك ،

عن ايقاع الهزيمة بالاستعمار عسكريا ، بسبب التفوق التقني الذي يمتلكه الاستعمار بالضرورة ، والذي تفقتده ثورة الشعوب المستعبدة بالضرورة .

غير ان الاستعمار ، وان لم ينهزم عسكريا ، فهو قابل للهزيمة نفسياً وبشرياً واقتصادياً ، ومن ثم عسكرياً ، حين يضطر ، في دفاعه عن مصالحه بالقوة ، الى أن يبذل في سبيل الحفاظ على هذه المصالح اكثر بكثير من مردود هذه المصالح ذاتها . أي حين تصبح « تكاليف » المحافظة على هذه المصالح اكبر من المصالح نفسها .

حينئذ ، يضطر الاستعمار الى التراجع ، ويضطر الى التسليم ، ويستسلم للهزيمة . وتنتصر الثورة .

هذا ما حصل ، مثلاً ، في الجزائر . فالثورة الجزائرية لم تنتصر بسبب انها هزمت الجيوش الفرنسية عسكريا وقذفت بها الى البحر ، وإنما انتصرت حين قاتلت الفرنسيين سبع سنوات طوال ، وأوقعت بهم خسائر في الارواح ، وفي الاقتصاد ، وفي العلاقات البشرية ، وفي الاستقرار الداخلي ، فاقت أهمية كل المصالح الفرنسية في الجزائر ، وكان على الفرنسيين ان يتساءلوا ، اتستحق الجزائر منا كل هذا البذل الذي نبذله ؟ وجاء ، « ديغول » ليجيب عن هذا السؤال بالنفي ، معبراً بذلك ، لا عن شعوره وحده ، بل عن شعور الشعب الفرنسي كله الذي رأى نفسه يبذل من دماء ابنائه ، ومن نفقات غذائه وكسائه وقومه ، في سبيل بقاء مصالح لا يستفيد منها الا حفنة من « الكولون » ومن المتصلين بالكولون في فرنسا من الفئات المستغلة .

تراجعت فرنسا امام ثورة الجزائر ، اذن ، حين اصبح الثمن الذي تدفعه فرنسا من اجل المحافظة على مصالحها ، او مصالح بعض ابنائها ، اغلى من المصالح نفسها .

وكذلك الأمر في فيتنام .

فعلى رغم عنف الثورة الفيتنامية وتضحياتها واتساعها وعمقها ، فلا يمكن الزعم بأنها انتصرت على القوات العسكرية الاميركية انتصارا عسكريا ، وعلى رغم انها كثيراً ما حررت بعض الأراضي ، فهي كثيراً ما اضطرت الى اخلاء ما حررت . وبالمقاييس العسكرية المحض فالقوة المستعمرة اقوى بكثير من القوة الثائرة .

ومع ذلك ، فالثورة الفيتنامية في طريق الانتصار على القوة المعادية . لأنها تمكنت ،

بسبب الخسائر الفادحة التي انزلتها بالجنود الاميركيين ،وبالاقتصاد الاميركي من ان تخلق في الولايات المتحدة ذاتها موجة من الاستنكار للحرب ، وللاستمرار في الحرب ، ومن التساؤل عما اذا كانت المصالح التي تدافع عنها الولايات المتحدة هي في مستوى البذل الذي يبذله الشعب الاميركي . واذا كانت هذه الموجة لم تصل في قوتها ، بعد ، الى حد أن تفرض على الولايات المتحدة تقرير الانسحاب الكامل من فيتنام ، فقد وصلت الى حد فرض نفسها لتجبر القائمين على الحكم على تقرير سحب الجيوش ، تدريجيا ، وتقليص المصروفات تدريجيا ، ومعالجة التضخم المالي مداورة الذي تفرضه الحرب تدريجيا . ومع ذلك ، فكل ذلك علامات الهزيمة ، وعلامات انتصار الثورة .

وحينما يصل حجم خسارة الشعب الاميركي من حيث عدد القتلى ، من حيث ارتفاع الضريبة والاسعار الى حد يدرك فيه أن خسارته اكبر بكثير من أي مصلحة يمكن أن يكسبها من وراء استمرار الحرب ، فستفرض الهزيمة نفسها ، وستنتصر الثورة ، سوف ينسحب الغزاة المعتدون .

ذلك هو قانون العلاقة بين الاستعمار والثورة ، لا يكفي أن تقوم الثورة حتى يخضع الاستعمار وينسحب ، بل يجب ان تبلغ من الطول والعرض والعمق ما يجعل مقاومتها امراً بالغ التكاليف ، بحيث يتجاوز كل مصلحة يمكن ان يجنيها الاستعمار من البقاء في الأرض المغلوبة على أمرها .

* *

وذلك هو شأننا مع اسرائيل ، ومع القوى الامبريالية المتحالفة مع اسرائيل .

قبل ان نحرر فلسطين لا بد من ان نحرر الاسرائيليين ونحرر الاميركيين من وهم أنهم قادرون على ان ينالوا في وطننا اكبر مردود ممكن بأقل مجهود ممكن .

لا بد من أن نثبت للاسرائيليين وللاميركيين ان مغانم وجودهم في المنطقة اقل بكثير مما تكلفهم اياه المحافظة على هذا الوجود .

وبسبب تعقيد وشذوذ الوضع في اسرائيل ، من حيث هو استعمار استيطاني حصل على اكثرية سكانية ، وبسبب ضخامة المصالح الاميركية بوجه خاص والامبريالية بوجه عام في المنطقة ، من حيث الثروة البترولية على الأخص ، وبسبب تجزئة الأمة العربية وتجزئة

طاقاتها البشرية والعسكرية والاقتصادية ، فإن هذه المهمة ليست بالمهمة المستحيلة وقد يقتضي القيام بها سنوات طويلة من النضال الشاق المستمر ، والتضحيات المنشودة ، وليس ثمة من طريق غيرها .

كلمة واحدة تلخص اسلوب العمل كله : الاستنزاف .
استنزاف اسرائيل ،
استنزاف دعم الولايات المتحدة لاسرائيل ،
استنزاف المصالح الاميركية في الوطن العربي .

ان قدرتنا على تحرير فلسطين انما تعتمد على قدرتنا على القيام بهذه المهمة . مهمة استنزاف قوى العدو في هذه المستويات الثلاثة ، **بحيث يحل الكفر بهذا الوجود محل الأيمان** ، والشعور بالضياع محل الشعور بالثقة .

* *

على رأس قائمة « الاستنزاف » يأتي استنزاف قدرات وطاقات المجتمع الاسرائيلي اولاً . فهذا المجتمع هو رأس الحربة وهو رأس الجسر وهو المنطلق الى كل استنزاف آخر .

والمجتمع الاسرائيلي ، على رغم كل ما يحيط به نفسه من طغيان وجبروت ، وعلى رغم كل مظاهر تقدمه التكنولوجي والعلمي والاقتصادي ، مجتمع خفيف وسهل الاستنزاف امام الطاقات العربية المتوفرة .

بشرياً هو مجتمع محدود . سكانه لا يتجاوزون مليونين ونصف المليون . وقدرات هذا المجتمع على تقديم الضحايا البشرية ستظل محدودة بالضرورة . وعندما تخسر اسرائيل مائة انسان فقط فإن هذه الخسارة تمثل ، بالنسبة لعدد السكان ، خسارة الولايات المتحدة لثمانية آلاف انسان ، وخسارة العرب لأربعة آلاف انسان . وعندما تجند اسرائيل ربع مليون نسمة ، وهو العدد الذي يمكنها تجنيده في حالات التعبئة العامة ، فإنها تعطل اليد العاملة في البلاد تعطيلاً كاملاً او شبه كامل . وعندما تفرض التجنيد الاجباري لمدة ثلاث سنوات ، وتمد سن الاحتياطي الى ٥٥ سنة ، فمعنى ذلك انها تهز استقرار كل بيت وكل عائلة ، نفسياً واقتصاديا ، هزاً عنيفاً .

فالمجتمع الاسرائيلي كله قائم على اقتصاد مصطنع يستند ، حتى في اوقات السلم ،

الى المعونات الخارجية . وهو ، بطبيعته ، عاجز عن القيام بأعباء نفسه في السلم ، فكيف يقوم بهذه الاعباء في الحرب ؟ صحيح ان المعونات الخارجية تغطي معظم هذه الاعباء . ولكن هذه المعونات نفسها ليس من السهل أن تأتي وان تتضاعف إلا بعد ان يتحمل الفرد الاسرائيلي ، اولاً اقصى ما يمكنه تحمله من عبء .

بالاضافة الى ذلك ، فإن قدرة اسرائيل على تحمل الاستنزاف النفسي اضعف من قدرتها على حمل الاستنزاف البشري والاقتصادي . صحيح انا نلمس في اسرائيل التكتل الكلي حول سياسة القادة الصهيونيين ، والتصميم الكامل على القتال والمواجهة والتضحية ، ولكن هذا كله مرهون باستمرار حالة الشعور على الانتصار ، إن أية هزة حقيقية وعميقة لهذا الايمان بالقدرة على الانتصار ، تهز المجتمع الاسرائيلي بأسره وتضعضع دعاماته التي يقوم عليها . المجتمع الاسرائيلي ليس مجتمعا طبيعيا عميق الجذور وقائماً على الارتباط بالتراب . إن أساس هذا المجتمع الحقيقي هو الهروب من الاضطهاد الاوروبي ومحاولة ايجاد مكان يأوي اليه المضطهدون في أمن وسلام ورفاه وعزة وكرامة . واقلية صغيرة فحسب من هذا المجتمع جاءت اليه بملء ارادتها وحريتها مختارة الهجرة الى اسرائيل من بين عدة اختيارات اخرى ممكنة . وان ٦٠٪ من سكان اسرائيل لم يولدوا في اسرائيل ، بالاضافة الى أن ٥٠٪ من سكان اسرائيل هم مهاجرون من البلدان العربية .

هذا التركيب الاصطناعي للمجتمع الاسرائيلي يفرض عليه أن يظل متماسكاً وقوياً ومتكتلاً ومحاولاً اذابة كل التناقضات الطبيعية فيه ، بعمل ارادي واع يتجاوز الامكانات العادية . ولكن هذا العمل الارادي الواعي ، من اجل ان ينجح ، لا بد له من دعم الارادة بالايمان بوجوب الانتصار وحتميته في نزاع للبقاء هو في طبيعته حتمي . ان تحطيم هذا الايمان وزعزعته بواسطة حياة سكانه ، غاية اساسية من غايات اي محاولة لتحطيم المجتمع الاسرائيلي .

ان اللجوء الى العمل الارادي الواعي في تحمل اعباء لا يتحملها الانسان العادي عادة في الاوقات العادية ، شيء معروف في اوقات الشدة والحروب وما الى ذلك في كل مجتمعات العالم . ولكن كل تحمل من هذا القبيل لا بد له من حدود زمنية ، ثم لا بد ان يكون له مردودملموس .ومجتمع اصطناعي كمجتمع اسرائيل ، هو في حاجة الى نسبة اعلى من هذا المجهود النفسي من جهة ، كما انه يتعرض للانهيار بأسرع من المجتمعات الطبيعية

لو تعرض لأي نكسة في مقدار ايمانه بقدرته على الاستقرار في الوجود وفي الانتصار الدائم .

من هنا ، كان على العرب ان يستنزفوا ايمان الاسرائيليين بوجودهم وبقوتهم وبقدرتهم على الانتصار وعلى العيش بأمان وسلام واستقرار ، وذلك بموالاة ازعاج الشعب الاسرائيلي بإيقاع الخسائر المتتالية فيه ، بشرياً واقتصادياً وعسكرياً وعدم السماح له بالراحة ، فكل فترة راحة هي استجمام جديد وتجميع للقوى ، وفرصة من اجل بناء ارادة الوجود والانتصار من جديد ، كما ثبت من تصرف الاسرائيليين يوم وقف اطلاق النار في تموز ١٩٧٠ ، والفترة التي تلتها .

وبطبيعة الحال ، فإن استنزاف اسرائيل ليس امراً سهلاً . فوراء اسرائيل قوة الولايات المتحدة ، وكل القوى الامبريالية التابعة لها . وهي مستعدة لسد أي ثغرة قد تنشأ في المجتمع الاسرائيلي ، اقتصادية كانت هذه الثغرة او عسكرية او فنية . فهي مستعدة ، كما كانت دائماً ، لمدها بالأموال والسلاح والفنيين الى اقصى درجة ممكنة . فلا عجز الميزان التجاري ، ولا عجز المدفوعات ، اللذان يمكن أن تتعرض لهما اسرائيل ، بالعامل المهم في تحديد مصيرها . لأن القوى الامبريالية قادرة ومستعدة لسد هذين العجزين وامثالهما . ولا تخصيص خمس الدخل القومي الاسرائيلي ، او ربعه ، أو ثلثه ، او نصفه ، لحاجات الأمن والحرب ، بالعامل الذي يقرر ، كذلك ، مصير اسرائيل ، ما دام العون الاميركي قادراً ، ومستعداً ، لسد هذه الثغرة . الخمسمائة مليون دولار سنويا التي اعتمدتها الولايات المتحدة مؤخراً لتسليح اسرائيل ليست بالمبلغ الهين . ولو قسمنا هذا المبلغ على سكان اسرائيل اليهود لكان نصيب كل منهم مائتي دولار . ولو افترضنا أن هذا المبلغ كان المبلغ الوحيد الذي تنفقه اسرائيل لشؤون الحرب وهو ليس كذلك بالطبع ـ وافترضنا انه كان على الجمهورية العربية المتحدة ان تنفق على شؤون الحرب مبلغ مائتي دولار عن كل فرد فيها لكان عليها أن تنفق ٦٨٠٠ مليون دولار سنوياً . وهو مبلغ مريع ولا شك .

فإذا اضفنا مبلغ الخمسمائة مليون دولار وهذاما حصلت عليه اسرائيل من مصادر التموين الاخرى ، كالتبرعات والقروض وسندات الدين ، لهالتنا هذه القدرة العالمية المخصصة من قبل القوى الامبريالية لدعم رأس جسر استعمارها في المنطقة .

ومع ذلك فإن هذا كله لا يجوز ان يدفعنا الى الخوف والتقاعس والتسليم . فمن جهة ، وعلى رغم كل المساعدات الاجنبية ، فإن علينا ان نزيد الضغط على المجتمع

الاسرائيلي بتحميله الاعباء فوق الأعباء ، ومن جهة اخرى فإن علينا ان نزيد حاجة اسرائيل الى المساعدات الخارجية ، ومقدار ما تدفعه الولايات المتحدة لاسرائيل ، الى الحد الذي يضطر فيه المواطن الاميركي الى الشكوى من كثرة ما تكلفه محاولة المحافظة على اسرائيل من تكاليف ، ولن يكون ذلك إلا حين تصبح هذه التكاليف اعلى من مردود الامتيازات ، والمصالح الاميركية ، ولاسيما البترولية ، القائمة في الشرق الاوسط .

فالعلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل ، كما قلنا ، ليست علاقة عطف ورحمة وحب ، فهذه قيم ليس لها وجود في العلاقات الدولية ، وبخاصة العلاقات الامبريالية ، وانما هي علاقة مصلحة متبادلة تدوم ما دام الوجود الاسرائيلي حافظاً لهذه المصالح في المنطقة .

إن خمسمائة مليون دولار سنوياً ليست الا جزءا ضئيلاً من ارباح شركات البترول الاميركية في الشرق الاوسط . ومع ان هذا المبلغ مبلغ ضخم ، الا ان الولايات المتحدة تدفعه عن طيب خاطر ، لاسيما وانها تتصور ان دفعه لن يمتد الى اكثر من سنوات قليلة ، بينما هي تستثمر امتيازاتها في المنطقة بأضعاف هذا المبلغ سنويا ، ولأمد طويل .

إن علينا ، اذن ، أن نستنزف دعم الولايات المتحدة الاميركي العادي الذي يضطر الى رفع صوته بالشكوى لاسرائيل بحيث تضطر الى دفع مبالغ يضج لها المواطن الاميركي العادي الذي يضطر الى رفع صوته بالشكوى والاحتجاج ، فيخلق بذلك تياراً من المعارضة لهذا الدعم ، يكون مع الزمن ، مشابها للتيار المعارض الذي خلقته الحرب الفيتنامية على الاقل . ان خمسمائة مليون دولار انما تعني أن كل فرد اميركي يدفع الى اسرائيل ما معدله دولاران ونصف كل عام . وعلى رغم أن الصفة المعطاة لهذا المبلغ هي أنه مجرد قرض ، فنحن نعلم من كل التجارب التاريخية المماثلة السابقة أن ثمة فرقاً ضئيلاً في هذه الامور بين القرض وبين العون المباشر .

* *

ومع ذلك فنحن مهما بالغنا في محاولة استنزاف الدعم الاميركي لاسرائيل ، فإن هذا الدعم لن يهز اميركا والاميركيين كما يهزهم استنزاف مصالحهم المباشرة في الشرق الاوسط والتي من اجلها كان حرص الامبريالية بيننا ، ومن اجلها وجدت اسرائيل ومن اجلها كان

حرص الامبريالية الشديد على الابقاء على التجزئة وعلى الحكومات القطرية في المنطقة .

شيئان فقط يخيفان الامبريالية في المنطقة : تأميم المصالح البترولية ، والوحدة العربية . وفي السابق ، كانت الامبريالية تخشى من الحكومات « التقدمية » ، خشية وصولها الى تحقيق أحد هذين الغرضين او كليهما . ولكنها ايقنت مع التجزئة ان لا خطر من الحكومات « التقدمية » ما دامت هذه الحكومات في نفس الوقت « قطرية » . لأن قطريتها ستجعلها عاجزة عن الوحدة من جهة ، وعاجزة عن التأميم من جهة اخرى .

لقد تعلمت جميع الدول المنتجة للبترول في العالم من امثولة ايران في اوائل الخمسينات . **إن تأميم البترول في قطر واحد مع ابقائه في يد الامتيازات الاجنبية في بقية الأقطار الأخرى ، إنما يعني خراب ذلك القطر اقتصادياً وبالتالي سقوط حكومته سياسياً ، ولا يعني الا خسارة ضئيلة بالنسبة الى مستغلي البترول يمكن تعويضها في اماكن اخرى .**

ومع ذلك فثمة حقيقة لا بد أن نعرفها .

فما دام البترول العربي في أيدي المستغلين ، وما دام الابقاء على هذا البترول يقتضي من الامبريالية الابقاء على اسرائيل ، والابقاء على التجزئة ، فليس ثمة امل في تحرير فلسطين ، الا اذا عكسنا المعادلة وجعلنا دعم الولايات المتحدة لاسرائيل سببا من اسباب محاربتها في مصالحها ، ودافعاً من دوافع تأميم هذه المصالح .

ومن اجل ذلك لا بد لنا ، كجزء مهم ومهم جداً من معركتنا مع اسرائيل ، ان نجعل حرب المصالح الاميركية في المنطقة جزءاً من حربنا ضد اسرائيل . وواضح ان حرب المصالح الاميركية لا يمكن أن يكون من خلال ضرب مصالحها الزجاجية - كتكسير زجاج مكاتب المعلومات الاميركية او السفارات - ولا من خلال خطف طائراتها ، ولا من خلال نسف انبوب من أنابيب النفط ، فذلك كله لا يقدم ولا يؤخر - في امكانات الحرب ضد المصالح الاميركية الحقيقية ، المتمثلة في امتيازات البترول .

وقد يمكن ، من اجل القضية الفلسطينية ، ومن اجل تحقيق اكبر نصر ممكن في حرب البترول ، بأقل خسارة ممكنة للبلاد العربية ، ان نغض الطرف عن « حقوق » الدول الاوروبية في المصالح البترولية ، وأن نركز على المصل الأول لاسرائيل فحسب ، وهو حصة الولايات المتحدة في هذه المصالح . ان حاجة الدول الاوروبية لهذا البترول ، مع

تأجيل المساس بمصالحها وحصصها في بترولنا ، لا بد أن يمنع هذه الدول من اتخاذ اجراءات قوية لمقاطعة البترول العربي لمجرد مساندة الولايات المتحدة في حماية مصالحها ، المتضاربة مع مصالح الدول الاوروبية بالضرورة ، لأن الولايات المتحدة منتجة للبترول بينها الدول الاوروبية مستهلكة له .

ان النجاح في مثل هذه المعركة ، طبعاً ، يحتاج ، في احسن احواله ، الى قيام الوحدة العربية حتى يتم تأميم المصالح الاميركية البترولية في المنطقة بتخطيط واحد وأمر واحد . ولكنه ـ في ادنى احواله ـ يحتاج ، على الأقل ، الى تفاهم كامل وتنسيق شديد بين الدول العربية من اجل ان تتساند جميعاً في مثل هذه الخطوة الضخمة . فتأميم المصالح البترولية الاميركية ليس امراً هيناً . وهو في حقيقته انما يعني انهاء المصالح الامبريالية في وطننا العربي بشكل نهائي . وكل ما تقوم به الولايات المتحدة من سياسات في هذا الوطن انما هو للابقاء على هذه المصالح . ومع ذلك ، بل وبسبب ذلك ، كان توجيه الضربة نحو جذر المشكلة هو الخطوة الأساسية في حل هذه المشكلة .

* *

استنزاف المجتمع الاسرائيلي ،
استنزاف الدعم الاميركي لاسرائيل ،
واستنزاف المصالح الاميركية في الشرق الاوسط ،

كل ذلك مخطط واحد ذو ثلاث شعب يهدف الى استنزاف العدو بشرياً واقتصادياً وعسكرياً ، ثم نفسياً ، بحيث يصبح الوجود الاسرائيلي غالي التكاليف على الشعب الاسرائيلي ، وعلى الشعب الاميركي في آن معاً ، وبحيث ينعكس معنى هذا الوجود على المصالح الاميركية ، فبدلاً من أن يؤدي الى الابقاء عليها ، يصبح هذا الوجود نفسه سبب تهديدها وانهائها .

اذا تحقق هذا ، تحققت الشروط الموضوعية لتحرير فلسطين وامكن الانتصار عليها ، بذلك ، عن طريق الحرب الكلاسيكية ، او الحرب الشعبية ، او الحرب السياسية . فكل ذلك يصبح مجرد اختيار للاسلوب المناسب في الظرف المناسب ، وحينئذ تصبح « ساعة الصفر » حقيقة لا وهماً من الأوهام .

وحتى يتحقق ذلك كله فلا بد للعرب من استعمال طاقاتهم كلها في المجالات التالية :

١ ـ الثورة الفلسطينية :

تظل الثورة الفلسطينية هي السلاح الأول للأمة العربية في تنفيذ حرب الاستنزاف ، للأسباب التي شرحناها سابقاً . وعلى رغم ان انجازاتها العسكرية ستظل ، بطبيعة الحرب الشعبية ، اقل قيمة من انجازات الجيوش حين تحتدم الحرب ، فإن اثر الثورة على العدو لا يمكن ان يقيم بانجازاتها العسكرية ، ولا بمساحة الارض التي تحررها ، ولكن بما يمكن ان تلحقه بالعدو من خسائر بشرية واقتصادية ونفسية ، وما يمكن ان تزرعه في مجتمعه من فوضى وارتباك وقلق واضطراب .

واوضح من هذا التحليل كله ان الثورة لا يمكن ان تتقيد بموعد الحرب الكلاسيكية ، ولا بخططها ، ولا يمكن أن تنتظر حتى تقوم الحرب لتكتفي بالعمل من خلف الخطوط ، كما قدر لها ان تعمل في بعض خطط الحرب العربية ، وإنما هي يجب ان تعمل في زمن غير محدد ، ولمدة غير محدودة ، لأنهاك قوى العدو . فأثرها الحقيقي ليس في زمن الحرب نفسها ، وانما هو في التهيئة المسبقة للنجاح في مثل هذه الحرب .

وواضح ، أيضاً ، من التحليل السابق ان على الثورة ، من اجل نجاحها في القيام بمهماتها ، ان تتطور عسكرياً في العمق وفي المدى . لقد نجح العدو ، خلال السنوات الثلاث ، الماضية في اقامة سور محصن حول الارض المحتلة قادر ، حتى الآن ، على الحيلولة دون ايصال اثر الثورة الى داخل المجتمع الاسرائيلي نفسه ، والابقاء على العمل الفدائي على اطراف الحدود . ان هذا ، في ذاته ، يعتبر انجازاً كبيراً من انجازات الثورة بما تفرضه اقامة هذا الجدار المحصن من تكاليف بشرية واقتصادية ليست بالقليلة . ولكن الثورة ، إن اكتفت بما حققت راوحت في ارضها ، ثم ماتت . إن عليها ، من جهة ، ان تغير من اسلوب قتالها على الحدود بالاستعانة بأحسن العقول التكتيكية المتاحة ، بصرف النظر عن انتماءاتها ورتبها وما الى ذلك مما يقيد الجيوش الكلاسيكية ، بحيث تتمكن باستمرار من التغلب ، على أي عقبة يمكن ان يضعها العدو في طريق الثورة ، وان تضطره الى تعديل جداره وزيادة تحصينه ورفع تكاليف الابقاء عليه . وذلك كله ليس مستحيلاً اذا تحلت الثورة بخلق التواضع . كما ان عليها ، من جهة اخرى ، أن تعمل المستحيل من

اجل مضاعفة المجهود الثوري في الداخل . لأن العمل في الداخل هو الوحيد القادر على خلخلة تماسك المجتمع الاسرائيلي واطمئنانه الى نفسه والى قوته . ونحن نعرف صعوبة تحقيق ذلك . ولكن من قال ان الثورة التي تستهدف تحرير فلسطين ثورة سهلة ؟ وفي الواقع فإن موقف الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال يبقى هو صاحب الأثر الأكبر في تحديد مصير الثورة الفلسطينية ودورها في عملية التحرير .

كما أن على الثورة أن تعلم أنها ، من اجل أن تكون ثورة حقاً ، لا مجرد حركة ومقاومة سطحية ، لا بد لها من تعميق قاعدتها الشعبية ، ومن أن تعمل على تحقيق ذلك في الداخل وفي الخارج . الثورة ليست مجموعة مقاتلين فحسب . وإنما هي حركة جماهيرية واسعة ، كل فرد من الجماهير فيها له دور مهما صغر . ومن مهمات الثورة الأولى نشر روح القتال والصمود في الجماهير ، ونشر ارادة النصر ، وخلق روح التضحية وتحمل الخسائر المتوالية بانفتاح وصبر وصمود .

ومن الواضح ان على الثورة أن تنفض عنها اقليميتها وان تكون ، فعلاً ، وممارسة ، لا قولاً ودعاية ، ثورة الجماهير العربية من اجل تحرير فلسطين . فالعدو اكبر بكثير واقوى بكثير من أن تتمكن الجماهير الفلسطينية وحدها من القيام بالمهمات الملقاة على عاتقها ، لاسيما وانها مضطرة ، كما قلنا ، للانطلاق من اراض عربية مجاورة ، بالاضافة الى وجوب انطلاقها من الارض الفلسطينية المحتلة . إن حجم المعركة ومداها يستهلك الطاقات العربية كلها ، كما تبين لنا من تحليلنا السابق ، واهداف الاستنزاف الثلاثة مرتبطة بعضها ببعض الى درجة لا تحتمل الانفصام ، وهي بذلك في حاجة الى جهد كل الجماهير العربية لتنصب في المعركة . لاسيما اذا تطبعت الثورة بطبائع الثورة الحقيقية ، فكانت هي القوة المحركة الايجابية الأولى في المقاومة العربية ، وكان عليها بذلك ، أن تنشر روح المقاومة والصمود ، وتحارب روح الاستسلام ، في كل المؤسسات العربية الرسمية والشعبية .

ولن يكون ذلك الا بدمج الجماهير العربية في الثورة ، دمجاً حقيقياً وفعالاً . لا بد للفلسطينيين ، بصفتهم اول من تنالهم آثار الاستعمار الصهيوني المباشر ، واول من تتحرك فيهم روح الثورة ، أن يكونوا رأس حربة هذه الثورة ومقدمتها . ولكن الثورة لا يجوز لها ان تنتصر عليهم ، لئلا يأتي يوم تشعر فيه الثورة بأنها معزولة عزلاً تاماً عن الجماهير العربية ، ولاسيما تلك التي تعمل وتنطلق من خلالها ، وتلك التي تتحمل معاً الخسائر والتضحيات .

ويوم تتم هذه العزلة ، تأتي نهاية الثورة .

ومن البديهي كذلك ، ان على الثورة أن تبتعد كل البعد عن الأساليب السياسية في العمل . إن المعركة ، بالضرورة ، معركة عربية واسعة . وفي الميدان العربي حكومات وانظمة قادرة على القيام بالتحركات السياسية ، بل لا بد لها ان تقوم بالتحرك السياسي . اما الثورة فإن لها وظيفة واحدة ذات شقين ، ازعاج العدو بصورة مستمرة لا تعرف التوقف ، ونشر روح الحرب والقتال والصمود في الأمة العربية .

ولا حاجة بنا الى القول بأن على الثورة ان تكون ثورة واحدة ، لا مجموعة ثورات ، ولا مجموعة منظمات . ولكن يجب ان نذكر ايضاً ، أن مثل هذه الوحدة في الثورة ، من اجل ان تنشأ ومن اجل ان تكون متينة اللحمة ، لا بد أن تتوفر الظروف الموضوعية لوجودها ولاستمرارها . ولا بد أن يتسع فكر الثورة وأن يعمق ، وأن تختفي من داخل صفوفها الأثرة والأنانية والغرور ومحاولة الكسب الجزئي الرخيص .

واهم من ذلك كله أن تتجنب الطنين العالي الذي لا طائل من ورائه . وان تجعل الطنين الحقيقي صدى لافعالها ، لا ان تجعل الأفعال مطلباً من مطالب الطنين . الثورة الناجحة يسبق فعلها كلمتها الدعائية . الثورة الفاشلة فحسب ، اليائسة من الوصول الى اغراضها ، هي التي تفتش عن طنين الفعل قبل الفعل نفسه . إن خطف الدبلوماسيين ، في امريكا الجنوبية مثلاً ، وخطف الطائرات ، وما الى ذلك ، ذو طنين واسع . ولكنه ، بلا ريب ، ذو اثر ضئيل ، إن لم يكن اثره في كثير من الاحيان ، عكسياً ومقلوباً . الثورة الواثقة من نفسها ثورة تبتعد بالضرورة ، عن الأعمال البطولية الفردية ، يحل محلها عمل الجماهير الواسع الصامد ذو البطولات الجماعية .

ان عمل الثورة الأساسي هو جعل القتال ، وتحمل تضحيات القتال ، شأناً من شؤون الحياة اليومية للجماهير العربية ، وهي بذلك تختلف اساسياً عن عمل الجيوش .

٢ ـ الجيوش العربية :

مهما يبلغ ايماننا بحرب التحرير الشعبية ، او بالثورة وبقدراتها وبإمكاناتها ، فإن من العبث الايمان بقدرة الثورة وحدها على تحرير الأرض المغتصبة . ولا فائدة من ضرب الأمثال فيما يحصل في فيتنام او فيما حصل في الجزائر . فالاستعمار الصهيوني في فلسطين ،

كما بينا ، استعمار شاذ . والثورة ضد هذا الاستعمار ، بالضرورة ، ثورة شاذة ، ينقصها الكثير مما يمكن ان تتمتع به الثورات الأخرى في العالم .

هي ، اولاً ، ليست ثورة داخلية ضد نظام حكم لا يتلاءم معها . وهي ثانياً ، ليست ثورة شعبية ضد جيش محتل . وهي ، ثالثاً ، ليست ثورة اكثرية ضد تسلط اقلية .

واسرائيل ، على رغم انها استعمار ، هي كذلك دولة . ودولة توسعية معتدية لم يقتصر توسعها على احتلال الارض الفلسطينية وحدها ، بل امتد ليحتل اراضي ثلاث دول مجاورة ، اصبحت بالضرورة ، في حالة حرب مع اسرائيل .

واذا كانت جيوش هذه الدول غير قادرة في الوقت الحاضر ، وفي ظروف الارتباط الكامل بين اسرائيل وبين القوى الامبريالية العالمية ، على أن تخوض حرباً نهائية مع العدو تنتهي الى هزيمة بشكل ما ، فإن هذا لا يعفيها من القيام بدورها الأساسي في « حرب الاستنزاف » مع العدو ، وبالتالي الى تحقيق استنزاف العدو ، الى أن يحين الانتصار عليه انتصاراً نهائياً وحاسماً .

لقد سارت الجيوش العربية ، حتى الآن ، على أساس خطة « الدفاع » المسماة بخطة « الصمود » . وهذه الخطة هي اول مراحل الصدام مع العدو . إن على العدو ان يعترف ، أولاً أنه عاجز عن تحقيق مكاسب جديدة تضاف الى مكاسبه التي حققها حتى الآن ـ ومن اجل ذلك فإن توسيع الجيش وتعميق خبرته وقدرته وآلته الحربية ، كل ذلك واجباً اساسياً من واجبات الدول العربية . كما ان توحيد قياداته العسكرية ، بحيث تصبح خطوط وقف القتال مع العدو خطاً واحداً ، فعلاً وعملاً ، تقف وراءه الجيوش العربية متحدة ومتلاحمة ، في قيادة واحدة تتجاوز كل الانقسامات والتجزئات الاقليمية والمحلية ، ضرورة من ضرورات المواجهة مع العدو ، لا تحتمل زيادة في التأكيد على اهميتها ، لاسيما وانها الحد الادنى من وحدة عربية مطلوبة من أجل مجابهة العدو مجابهة حقيقية وناجحة . وعلى رغم اننا لا نرمي من هذا التحليل الى البكاء على الماضي ، فإنه لا بد لنا من الاشارة الى أن دروس ربع القرن الماضي كلها ، قد آن لها أن تترجم الى منجزات عملية ، وأن تتجاوز مجرد القناعات النظرية التي لا تثبت وجودها في عالم الواقع .

إن مستوى القوة العسكرية الاسرائيلية من اعلى مستويات القوات المسلحة في

العالم . لا لأنها تعكس مقدار التقدم الاسرائيلي تكنولوجياً وتنظيمياً، ولكن لأنها تعكس مقدار التقدم الاميركي المرتبط به أشد الارتباط ، والمستند الى التجربة العملية في فيتنام . لذلك ، فليس ثمة حدود لمقدار الجهد الذي يجب أن يبذل في تقوية القوة العسكرية العربية ، من حيث العدد والعدة والتدريب والخبرة العملية القائمة على الممارسة .

ومع ذلك ، فإن خطة الدفاع وحدها ، لن تكون ذات اثر ما في مصير الارض الفلسطينية . فإسرائيل دولة توسعية . ولكن حتى توسعها نفسه ليس مجرد عملية تخبط في ليل مظلم . لقد حققت اسرائيل لنفسها ، بعد حرب حزيران ، خطوطاً دفاعية ممتازة تتمثل في قناة السويس من جهة ، وفي نهر الاردن وجبال الجولان من جهة اخرى . واذا كانت خطة الدفاع تقتصر على منع اسرائيل من مضاعفة توسعها ، فإسرائيل نفسها ، في الوقت الحاضر على الأقل ، غير حريصة على هذا التوسع . وخطة الدفاع هذه لن تؤثر في كثير او في قليل على مستقبل الخريطة في هذه المنطقة .

ان وجود العمل الفدائي على الحدود الشرقية والشمالية للعدو ، ومحاولات العدو المستمرة في الانتقام من المناطق المجاورة ، حيث ينطلق الفدائيون ، يجعل عملية الدفاع عملية ساخنة ، بدلاً من أن تكون باردة . كذلك ، فإن عمليات الجيش المصري على قناة السويس قد جعلت عملية الدفاع هناك ، ايضاً ، عملية ساخنة . وخرجت خطة الدفاع عن الحدود المفهومة عادة لمثل هذه الخطة ، لتتحول الى ما هو اكثر من مجرد الدفاع البارد .

ولكن ، من أجل تحقيق غايات الاستنزاف ، فإنه لا بد من دفع المواجهة الى أكثر مما يقتضيه الدفاع الساخن ، للوصول الى مرحلة الردع المكافىء .

ان عمليات المواجهة مع العدو تتم ، حتى الآن ، في الحدود التي يقررها لها العدو . فالعدو هو الذي يهاجم . ونحن الذين ندافع . هو الذي يختار هدفه وميعاد هجومه ومقدار القوة التي يستعملها في هذا الهجوم ، ونحن نرد عليه هجومه في الحدود التي يختارها هو . المعارك الجوية التي تجري بيننا وبينه تجري فوق ارضنا ، لا فوق ارضه ، وردنا ما يزال في حدود المدافع المضادة اكثر منه في حدود المعارك الجوية بين سلاحي الطيران .

ان « الردع المكافىء » يقتضي منا المواجهة المماثلة المتساوية في القوة مع العدو المهاجم . فإذا قصف لنا مدينة . كان علينا ان نقصف له مدينة . واذا قصف معسكراً

قصفنا معسكراً . واذا ضربت طياراته ارضنا ضربت طياراتنا ارضه .

هذا الاسلوب في المواجهة ينقلنا من موقف الدفاع الى موقف « حرب الاستنزاف » المطلوبة ، كما فعلت الجمهورية العربية المتحدة في خلال العامين الماضيين ، الى حد ما .

ولست اريد أن ادعي ما ليس لي به علم لأقرر ما اذا كانت الدول العربية في وضع يمكنها من اتباع هذا الاسلوب في المواجهة ، ولكنني ارجح انها قادرة على ذلك لو توحدت قدراتها ، وتوحدت قيادتها ، ووضعت الخطة الموحدة اللازمة لذلك ، وتحملت التضيحات المترتبة على خطة المواجهة هذه . واذا لم تتوفر هذه القدرة ، بعد ، فلا بد من بذل كل مجهود ممكن من اجل توفيرها .

إن الذي لا شك فيه هو ان مثل هذه الخطة تقتضي منا التعرض لخطرين :

اولهما ، الخسائر الكبيرة التي لا بد أن تتعرض لها مناطقنا ، سيما تلك القريبة او المجاورة للعدو . وما حصل في السويس والاسماعيلية وغور الاردن وجنوب لبنان مثل واضح على تلك الخسائر . ولكن الدخول الحقيقي في مرحلة الردع يعني كذلك ، ان ارض العدو ومقاطعة طرق مواصلاته ومدنه ومصانعه ومزارعه يجب ان تتعرض ، كذلك ، لما نتعرض له نحن . فلا تقتصر الخسائر على طرف واحد كما هو الحال في حالة الدفاع الساخن ، وانما تتوزع على طرفي المواجهة . وقدرة العدو على تحمل مثل هذه الخسائر ، بسبب ضيق رقعة ارضه ، قدرة اضيق حدوداً من قدراتنا نحن .

ثانيهما ، هو أن يحول العدو أي مواجهة من هذا النوع الى حرب كلية قبل أن نستعد لها . أن يحول حرب الاستنزاف الى حرب مواجهة شاملة ، بتأييد وتشجيع من القوى الامبريالية .ولا ريب ان علينا ، بكل ما نستطيع وما نملك ، أن نحول دون هذا الى ان تتحقق لنا اهداف حرب الاستنزاف الطويلة الأمد بالضرورة . واسلم طريقه لتحقيق ذلك هو ان تكون قدراتنا الرادعة في اعلى مستوياتها الممكنة . فمن اجل ان نخوض حرب الردع ، لا بد أن تختم ، اولاً ، مقتضيات الذفاع ، التي لا بد ان تستند ، اولاً الى قوة الجيش ، ثانياً ، الى خلق مسطح الدفاع الشعبي ، وثالثاً ، الى وحدة خطوط المواجهة العربية ووحدة قواتها وخططها وقيادتها .

ذلك هو دور الجيش في حرب الاستنزاف . وهو دور ضخم . ودور اساسي لا بد منه

من تحقيق اغراضه ، قبل ان نتصور بإمكان تحرير فلسطين ، او بإمكان هزيمة العدو هزيمة حقيقية .

٣ ـ الحركة الوطنية العربية :

الثورة الفلسطينية ، والجيوش العربية ، مضطرة الى تركيز جهدها في فلسطين وحول فلسطين . وهي الاداة الأساسية في استنزاف اسرائيل وفي استنزاف العون الأميركي لاسرائيل . ولكن استنزاف المصالح الاميركية في الوطن العربي ، وهي الغرض الأساسي من تلاحم القوى الامبريالية مع اسرائيل ، هو من واجب الحركة الوطنية العربية .

لا بد من زرع الاسفين في علاقات الامبريالية مع اسرائيل ، رداً على زرع الامبريالية لاسفين اسرائيل في الوطن العربي . لا بد أن نثبت للشعب الاميركي ، ومن ثم للحكومة الاميركية ، ان وجود اسرائيل ، بدل ان يخدم مصالحها في الشرق الاوسط ، سيكون هو السبب الرئيسي في انهاء هذه المصالح ، وأن تمسكها باسرائيل ، وعونها الدائب لها لن ينعكس ، في النهاية ، الا على مصالحها هي . وانها سوف تخسر بوجود اسرائيل اكثر بكثير مما تربح . ذلك هو الاسلوب الوحيد في معالجة الاستعمار ان نجعل خسارة الاستعمار من بقاء صوره واشكاله اكبر من دوافعه المصلحية في المحافظة على هذه الصور والاشكال .

ونجاح الحركة الوطنية العربية في تحقيق ذلك يتوقف على ان تستهدف الحركة ضرب غايات الامبريالية من الوجود في المنطقة ووسائلها في هذا الوجود في آن معاً .

ولقد ذكرنا في تحليلنا السابق ان الامبريالية لها في المنطقة هدفان اساسيان . الأول هو استمرار استغلال موارد المنطقة*، ولاسيما ثروتها البترولية وما ينتج عنها من مال ومن مجتمع استهلاك وخدمات . والثاني هو الحيلولة دون قيام اية قوة قوية في المنطقة بالمحافظة على التجزئة القائمة .

اما وسائلها في ذلك فهي ، اولاً ، الابقاء على الوجود الاسرائيلي منتصراً وقوياً في المنطقة ، بل اقوى من الدول العربية كلها ليكون نقطة تهديد دائمة . ثانياً ، المحافظة على قواعد عسكرية ، حيثما امكن ، او على مناطق نفوذ ، او على التجزئة القائمة ولو بالقوة ، اذا اقتضى الأمر ذلك .

وليس من شأننا هنا أن نبحث كيف يمكن للحركة الوطنية التحررية العربية ان تحقق ذلك . فذلك ، على اهميته ، ليس موضوع هذا البحث .

ولكن لا بد لنا هنا ، من الاشارة الى أن معركة الحركة الوطنية التحررية العربية هي معركة تستهدف اركاع الاستعمار وانهاءه . إن الاستعمار ، بطبيعته ، عدو عالمي ، وليس عدواً محلياً محضا . وإن المعركة هذه ، هي ايضا ، معركة مفتوحة في كثير من مناطق العالم . وان نتيجة هذه المعركة لا تتقرر بقوانا وحدنا ، ولا بقوى غيرنا من الذين يخوضون معركتهم ضد الاستعمار وحدهم ، بل تتقرر كذلك ، بوحدة هذه القوى وهذه المعارك ، بوحدة كل القوى المقاومة للاستعمار في الدنيا كلها . إن أي اضعاف لقوة الاستعمار في منطقة ما هي اضعاف للاستعمار في كل العالم . والتيار المعارضْ للحرب ، الذي خلقته في اميركا الثورة الفيتنامية ، لا بد أن يتحول لتيار معارض للحرب وللاستعمار في كل مكان .

ومن هنا فمهمة حركة التحرير الوطني العربية ليست مهمة محلية ، جغرافية ، بل مهمة عالمية ، تاريخية انسانية . تستهدف القضاء على الاستعمار في العالم من خلال قضائها على الاستعمار في وطننا العربي .

خاتمـــة

تلك هي طبيعة الوجود الاسرائيلي . تلاحم كامل بين الحركة الصهيونية المولودة في احضان الاستعمار ، وبين القوى الامبريالية التي تجد فيها اداة ممتازة في تنفيذ اغراضها في منطقة هي أهم واغنى منطقة قابلة للنفوذ الاستعماري في العالم كله .

ومن هنا ضخامة المعركة التي نخوض ، وضخامة القوى التي نواجهها .

واذا كنا قد قسمنا واجبات المعركة بحيث تتحمل جزءا منها الثورة الفلسطينية ، وجزءا آخر الجيوش العربية ، وجزءا ثالثاً حركة التحرير الوطني العربية ، فذلك ، فقط ، من اجل تسهيل البحث . والواقع ان هذه الوجوه الثلاثة من اوجه مقاومة العدو لا بد ان تلتحم التحاماً كاملا حتى تكون قوة واحدة في خندق واحد .

واذا كنا قد اقتصرنا في بحثنا على الظروف الموضوعية اللازمة من اجل نجاحنا في المعركة ، فإن هذا لا يعني ان هذه الظروف الموضوعية سوف تنزل علينا في مائدة من السماء .

نحن ، ونحن فقط ، القادرون على خلق هذه الظروف ، والقادرون على وضع امكاناتنا من اجل النجاح في المعركة . وهنا يدخل عامل الارادة الخلاقة ، وعامل البطولة المبدعة . فالظروف الموضوعية ليست حصيلة القوى القائمة بالفعل الآن ، وإنما هي حصيلة القوى الممكن خلقها ساعة نريد ، ارادة حقيقية خلاقة .

الاستسلام هو التصرف بحسب ميزان القوى كما يمكن ان نبدعه .

ومع ذلك ، تحرير فلسطين ليس كلاماً يقال ، ولا امنية ترجى ، ولا شعاراً يردد . تحرير فلسطين يتم ، حين تخلق ارادتنا الظروف الموضوعية اللازمة لتحرير فلسطين .

غير ذلك ، سيظل سراباً في سراب .

آذار ١٩٧١

